نعمة انعمها على قوم بالنعمة حتى يبدلوا ما بهم من حال الى حال اسوء منها مع انهم ماخوذين بذنوبهم
هنا الكفر كما ان نعمة الله تعالى على الكفرة حتى تسلب عنهم بتركه قلنا نعمة الدنيا على الكافر وغيره ولله
بالنعمة بان يسلبها عنه او يبدله بنوع اخر عقوبة بمعصية وانا والمصالح هنا ابقاء حتى يبدلوا
ما بهم من حال الى حال اسوء منه فان الكفار الذين انعم الله تعالى عليهم بنعمة دنيوية اذا ابدلوا
ما بهم من الحال الى الحال اسوء منها يبدل الله ما بهم من النعمة بالنقمة وان كان ما بهم من الحال حالا سيئا
غير مرضية عند الله فان كفار قريش مع كونهم مشركين يعبدون الاصنام قد انعم الله عليهم
بنعمة الامهال وحسن الحال في العاجل وكان حالهم قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم
يصلون ارحامهم ولا يتعرضون للذبائح والرسل ويتبرؤن عن الاهتمام فلما بعث عليه السلام اليهم بدلوا
ما بهم من حال الى ما هو اسوء منها واحدثوا معاداة النبي صلى الله عليه وسلم ومن تابعه وانهم قصدوا قتلهم و
كذبوا بالايات فبدل الله ما انعم به عليهم من الامهال وحسن الحال في العاجل بقصة ما بهم من نعمة الامهال وحسن الحال
قوله ولذلك الخ ورد على ظاهر قوله ذلك بسبب ان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا
ما بانفسهم ان يقال كيف يكون عدم تغيير الله ما انعم به عليهم حتى يغيروا حالهم سببا لما اتاهم من العذاب الشامل
وسوء الحال مع كون العدم سببا للوجود غير معقول اجاب عنه بان الحكم المذكور ليس سببا لما حل بهم
بل سببه امر وجودي وهو جريان سنة الله تعالى على ان يغير نعمته على المنعم عليهم عند تغيير حالهم
قوله تشبيها بحروف اللين من حيث كونه حرف غنة كما تحذف حروف اللين حال الجزم حذفت النون
الساكنة ايضا للتخفيف لكثرة استعمال فعل الكون ولم تحذف في نحو لم يصن ولم يخف لقلة استعمالها بالنسبة
الى لم يكن وكثرة الاستعمال تستدعي التخفيف قوله ولما يظهر من الدلالة على كفران النعمة فائدتها
تشبيها ولا دأب كفار قريش بدأب ال فرعون وبين وجه الشبه بقوله كفروا بالايات ورتب عليه اخذهم بذنوبهم
وبين وجه ذلك الاخذ بقوله ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة ثم كرر التشبيه المذكور فقال كدأب ال فرعون
وبين وجه الشبه بقوله كذبوا بايات ربهم وهذا الوجه المذكور في التشبيه الاول الا انه اخص منه
كونها الا ان الايات في التشبيه الثاني ذكرت مضافة الى الرب فيستفاد بهذا التشبيه الدلالة على كفرانهم
بنعم مربيهم بانواع النعم لان الرب هو المالك المنعم على المربوب لان تربية المربوب انما يكون بتبليغه الى كماله
بانواع النعم ولا شك ان تكذيب ايات المنعم المربي كفران لنعمه وهذا المعنى مفقود في التشبيه الاول فلا يكون التشبيه الثاني

١٧٣

الا ان ذكر في الاول لافادة تدرما لا يفيد الاول وايضا يستفاد بيان ما اخذ به ال فرعون بخصوصه وهو
الاغراق ولم يبين ذلك في التشبيه الاول قوله وقيل هذا ليس هذا تكريرا بحسب الظاهر ايضا
لان الاول لتشبيه الكفر والاخذ به وذلك لان الله تعالى وصف المتوفين ببدر بالكفر وبكونهم ماخوذين
بما قدمت ايديهم من الكفر والمعاصي ثم شبه ما وصفوا به بوصف القبط ومن قبلهم والثاني تشبيه
تغيير الله تعالى ما انعم به على قوم بسبب تغييرهم ما بانفسهم ولم يرض المص بهذا القول لانه قوله تعالى
في التشبيه الثاني كذبوا بايات ربهم فاهلكناهم ذكر لبيان وجه التشبيه فيكون هو هو في التشبيه الاول
كفروا بايات الله فاخذهم الله بذنوبهم مذكورا لبيان وجه التشبيه ايضا ومعلوم ان تشابهما يعرض تكرير
ثم انه تعالى لما ذكر ان من اخذ من الامم المكذبة انما اخذ بذنبه اكد ذلك بقوله وكل كانوا ظالمين حيث
ظلموا انفسهم بالتكذيب والعصيان ثم انه تعالى لما ذكر وصف كلهم بذلك بين ان اشرهم ظلما لنفسه
من اصر على الكفر والتكذيب بحيث لا يتوقع منه الايمان وكان ناقضا للعهد مرة بعد اخرى قوله
ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فسر قوله الذين كفروا اصروا على الكفر لا مضاء قوله فهم لا يؤمنون
ذلك لان الكافر لا يخبر عنه بجزم كفره بانه لا يؤمنون وفائدة الفاء السببية الدلالة على ان كفرهم
في الرسوخ والاستحكام بحيث لا يتوقع منه صدور الايمان وان عطف المعطوف يستدعي عطف المعطوف
حمل مثل هذا الكافر شر الدواب لان الدابة ثابتة على ما جبلت عليه فانه ضيع فطرته
الاصلية بالكفر ونقض العهد لا ولى الفطري واخل عما جبل عليه واصر على ذلك ثم نكث العهد
الظاهر فكان شر الدواب قوله ان لا يعاونوا اي ان لا يعاونوا العدو عليه والمراد المعاونة
فان بني قريظة اعانوا المشركين على قتال النبي صلعم يوم بدر بالسلاح ثم قالوا نسينا او اخطأنا
فعاهدهم ثانيا فنقضوه يوم الخندق قوله وركب كعب عطف على قوله فنكثوا البيان طريق حاربهم
يوم الخندق وكان السبب فيه انهم لما راوا غلبة المسلمين على المشركين يوم بدر قالوا انه هو
النبي الموعود بعثه في اخر الزمان فلا جرم يتم امره فلا يقدر عليه احد بمحاربته ثم انهم لما راوا يوم احد
ما وقع من نوع ضعف شكوا او قد كان احترق كبدهم بنار الحسد من ظهور دينه وقوته
فركب كعب بن الاشرف مع اصحابه الى مكة فحالفوا المشركين على الاتفاق معهم في محاربة رسول
الله ومحاربته وادى ذلك الى غزوة الخندق وكفى الله المؤمنين القتال بهزم الاعداء وكان الله قويا عزيزا

متنفر م

Copyright © King Saud University